-8-

السياق الكوكبى للدولة والمجتمع فى إيران

يُعنى هذا الكتاب بديناميات إيران الاجتماعية/ الاقتصادية والسياسية الداخلية. ونفوذها وتأثيرها فى المنطقة نتيجة لطبيعتها كدولة دينية/ سياسية. تُبيّن الأصوات المُطّلعة للإيرانيين واللبنانيين والعراقيين والفلسطينيين والمصريين التى سجّلها الكتاب كيف أن ضغط مختلف الجماعات بالداخل الإيرانى وفى أنحاء المنطقة ظل يعمل على تشكيل أدوار إيران الداخلية والإقليمية والدولية.

obeikandl.com

تُركِّز الفصول الثلاثة الأولى على تعقيد بُنى إيران المؤسسية، وتوضح التطورات الاجتماعية/ الاقتصادية وأيضا أوجه القصور التى لا يمكن إنكارها للدولة الإيرانية والمجتمع الإيرانى منذ ثورة عام ١٩٧٩. أدت تلك التطورات إلى خلق تناقضات داخل الدولة والمجتمع الإيرانى تشكلت على إثرها حركة ديموقراطية قوية منذ منتصف التسعينيات. وليس هذا بالأمر الجديد، إذ إنه استمرار للحركات التاريخية منذ الثورة الدستورية فيما بين عامى ١٩٠٦– ١٩٠٧. وتأميم النفط عام ١٩٥١ وثورة ١٩٧٩، والتى تتشارك جميعها فى عامل النضال من أجل الديموقراطية والاستقلال عن الهيمنة الإمبريالية.

وعلى مدى عقود طويلة، هدد هذا النضال المصالح الغربية الاقتصادية

obeikandl.com

والسياسية فى إيران. وكان الرد المعتاد من اللاعبين الكوكبيين، وبخاصة الولايات المتحدة، يأتى فى شكل قمع حركات اليسار العلمانى والقوميين فى إيران، بل وحقا فى المنطقة جميعها، ثم تطور مؤخرا ووُجِّه القمع ضد الحركات الإسلامية. ظلت تلك القوى الغربية تدعم الأنظمة الديكتاتورية. بل وذهبت إلى خلق جماعات متطرفة مثل طالبان والقاعدة كى تضمن مصالحها الاقتصادية والسياسية فى المنطقة. بيد أن الحركات الإسلامية الحديثة التى حلت محل حركات اليسار والحركات القومية الاجتماعية اكتسبت دعم غالبية شعوب المنطقة تحديدا من خلال التعبير عن معارضتها للسياسة الأمريكية والإسرائيلية. من ثم، مازال الغرب يواصل عداءه ضد تلك الحركات على الرغم من أن الحركات الإسلامية الرئيسية،

obeikandl.com

وبضغط من الغالبية، تعتقد فى عدم وجود تعارض بين الإسلام والحداثة والديموقراطية. عمّقت ظاهرة الإسلاموفوبيا الملموسة مشاعر الغضب والاستياء العميق بين غالبية شعوب المنطقة، والذين يشعرون أن ثقافتهم تتعرض لهجمة خبيثة شرسة مما دفعهم لتبنى مزيد من مظاهر التدين والتوجهات القومية. أشعلت مطالبات الولايات المتحدة فرض الديموقراطية من أعلى المشاعر القومية/ الدينية وأدت إلى نزع الشرعية عن حكومات المنطقة الموالية للغرب. فضحت الحرب على العراق وأفغانستان، ومعها «الحرب على الإرهاب»، وما حدث فى جوانتنامو، وأبوغريب فى العراق وباجرام فى أفغانستان – فضحت خطاب الغرب المعيب حول إقامة الديموقراطية الغربية فى الشرق الأوسط. وكما ورد فى هذا الكتاب، فحيثما سنحت الفرصة للشعوب بالتصويت الانتخابى، كانت أصواتهم تذهب بغالبيتها إلى التنظيمات الإسلامية مثل حزب الله وحماس. وكما يرى عدد من الباحثين والمراقبين، يواجه الغرب، وبخاصة الولايات المتحدة أزمة شرعية إقليمية ودولية، ولم يعد خطاب حقوق الإنسان وحقوق النساء والديموقراطية يجد أصداء فى الشرق الأوسط وخارجه.

وفى هذا السياق، ركزت الفصول من ٤: ٧ على كيفية نظر الجماعات المختلفة فى لبنان والعراق وفلسطين ومصر لإيران. فلكى نخرج بنظرية عن أثر إيران ونفوذها فى المنطقة، تفحصنا استجابات المجموعات المختلفة لسياسة إيران والولايات المتحدة الخارجية، وكانت الخلاصة هى أن فشل سياسات إسرائيل والغرب فى المنطقة عملت على تقوية وضع إيران وعلاقتها بجيرانها حيث عزّز موقفها المتحدى للغرب تأثيرها ودورها إلى حد كبير. أدى هذا إلى أن ينظر معظم أهالى المنطقة إلى

حكومات بصفتها عميلة للولايات المتحدة تضحى بمصالح شعوبها الاقتصادية والسياسية والثقافية في سبيل خدمة النيوليبرالية والصهيونية. ينظر كثيرون إلى إيران بصفتها نموذجا لهزيمة سلطة الدولة، وللممارسة الثورية. وفى هذا السياق، فإنه بالرغم من مختلف أشكال القوميات، والاختلاف السنى الشيعى، وتصوير الإعلام الكوكبى النافذ لإيران على أنها قوة شيعية تهدد الثقافة السنية والهوية العربية القومية، تستمر شعبية إيران فى التنامى. يركز هذا الفصل الآخر على السياق الكوكبى لدولة الإيران الدينية/ السياسية، وعلى كيفية أن شعبية السياسة الخارجية الإيرانية لدى شعوب المنطقة أدت إلى نفورهم من الغرب وإلى عداء الغرب وحكومات المنطقة لإيران.

«إما معنا أو مع الإرهاب»:

أدت ثورة ١٩٧٩ وانسحاب إيران من التعاون العسكرى والتجارى مع الغرب إلى تهديد المصالح الاقتصادية والاستراتيجية للولايات المتحدة وحلفائها فى المنطقة. تحدت الثورة أيضا مصالح الغرب الاجتماعية/ السياسية، حيث إن غالبية شعوب المنطقة، وقد استلهموا الثورة، بدأوا يسائلون أنظمتهم الموالية للغرب، كما إن عدم اهتمام تلك الأنظمة بقضايا الفقر والبطالة وغياب حقوق الإنسان الأساسية، أدى إلى تحدى تلك الشعوب لقياداتها. ومن هذا المنطلق، فإن شعبية النموذج الإيرانى تهدد النفوذ الغربى فى المنطقة.

فى يناير ١٩٨٠، أعلن الرئيس جيمى كارتر أن أية محاولة للتحكم فى الخليج الفارسى ستُعتبر هجوما على مصالح الولايات المتحدة وستواجه بأية وسائل ضرورية بما فى هذا المواجهة العسكرية. كذلك، فقد ذهب هنرى كيسنجر تكرارا إلى أن الولايات المتحدة على استعداد للتعاون مع

إيران طالما توافقت سياساتها مع آراء واشنطون، وإلا ستتخذ واشنطون ما يلزم من التدابير لتدمير تأثير إيران ونفوذها فى المنطقة. فى بداية التسعينيات، وضع پول وولفويتز، وكيل وزارة الدفاع ما بين عامى ٢٠٠١ و٢٠٠٥، الخطوط الأساسية لاستراتيجية المحافظين الجدد فى الشرق الأوسط وجنوب شرق آسيا بحيث تظل الولايات المتحدة القوة المهيمنة على المنطقة وتحافظ على إتاحة بترولها للولايات المتحدة والغرب من خلال الحروب الاستباقية. وفى يناير ٢٠١٠، وأثناء استجوابه أمام لجنة Chilcot حول الحرب على العراق، ذكر طونى بلير رئيس وزراء المملكة المتحدة فيما بين عامى ١٩٩٧ و٢٠٠٧، ذكر إيران ثمان وخمسين مرة، وبدون أن يُبدى أى أسف لإراقة دماء العراقيين التى ساعدت عليها سياسته، دعا إلى شن حرب ضد إيران بذريعة أنها بارتباطها بالمجموعات الإرهابية تمثل تهديدا خطيرا بخاصة كما أنها مسئولة عن كثير من زعزعة الأوضاع فى الشرق الأوسط.

العامل المشترك بين مثل تلك التعليقات جميعها هو ما عبر عنه تصريح جورج دبليو بوش سيئ السمعة فى سبتمبر ٢٠٠١ فى خطاب له أمام كونجرس الولايات المتحدة حينما أبلغ بلدان العالم «إما أنكم معنا أو مع الإرهابيين». بتعبير آخر، فإن أى بلد فى الشرق الأوسط يتحدى مصالح الغرب سياسيا أو اقتصاديا يواجه تهديدات ثأرية.

الحرب على إيران:

أثناء الحرب الإيرانية/ العراقية فيما بين عامى ١٩٨٠ و١٩٨٨، دعمت الولايات المتحدة نظام صدام حسين كوسيلة لاحتواء الثورة الإيرانية وأثناء ١٩٨٦ – ١٩٨٨، وفى رد على احتمال انتصار إيران على العراق، تم نشر القوات البحرية والجوية الأمريكية لضمان عدم خسارة العراق

الحرب. بيد أنه، وكما جاء في الفصل الخامس، قام صدام حسين (الذي كانت الولايات المتحدة تدعمه كثقل مضاد لإيران) بتجاوز الخط المرسوم له في تراتبية القوة الاقتصادية والعسكرية الكوكبية بأن اجتاح الكويت عام ١٩٩٠. وبناء على ذلك، تم غزو العراق واحتلالها والإطاحة بصدام. لم ينجم عن الحرب على العراق التصالح مع إيران، بل كانت الحرب هي ضمن سياسة «الاحتواء المزدوج» التي كانت موجهة ضد البلدين معا، والتي بدأها بوش الأب، وواصلها بيل كلينتون بعد حرب الخليج عام ١٩٩١.

وكما جاء في الفصل الأول كان من تبعات الحرب الإيرانية/ العراقية خلق حالة طوارئ أدت إلى وجود دولة أكثر مركزية وسلطوية فرضت مزيدا من الأسلحة ، وقمع النساء واليسار العلماني والقوميين. كانت سنوات الحرب قد عملت على تراجع القومية الإيرانية وزيادة مظاهر التدين. من ثم، وكما هو الحال دائما، أنتجت الحرب دولة قوية وساعدت على تشكيل السياسات الداخلية والخارجية. أتاحت للأجنحة المحافظة من الإسلاميين تدعيم سطوتهم، وبمرور الوقت، نجم عن تهديد الغرب المستدام بالحرب على إيران، وفرضه العقوبات عليها، مستوى متعاظم من القمع السياسي. وطوال التسعينيات وحتى الآن، وفي ظل حكومة خاتمي الإصلاحية (١٩٩٧- ٢٠٠٥) وحكومة أحمدي نجاد المحافظة منذ عام ٢٠٠٥، استمر عداء الغرب لإيران، على الرغم من حقيقة أن النظامين تبنيا النيوليبرالية الاقتصادية، ودعوات في مناسبات عدة، إلى تحسين العلاقات مع الغرب.

ظلت ثمة تقارير؛ منذ ١١ سبتمبر ٢٠٠١، بأن الولايات المتحدة تخطط لضربة عسكرية ضد إيران. ذهب سيمور هيرش الكاتب والمحقق

الصحفى، والذى يكتب بانتظام فى دورية النيويوركر، ذهب إلى أن الاستعدادات للحرب على إيران بدأت عام ٢٠٠٣. بعيد انتخاب جورج دبليو. بوش، دعا علناً وبوضوح إلى «تغيير النظام» فى إيران. تقول التقارير أن ديك تشينى، نائب الرئيس أعد فى عام ٢٠٠٥، خطة للحرب على إيران تشمل استخدام الأسلحة النووية. كانت الخطة تقضى بنشر ٢٠٠ قاصفة استراتيجية ضد ١٠٠٠٠ هدف، قُدِّر فيها قتل ٢ مليون شخص فى وقت قصير.

وعلى الرغم من التهديدات المستدامة بالحرب، قامت إيران فى عامى ٢٠٠١ و٢٠٠٣، فى ظل إدارة خاتمى، وفى عام ٢٠٠٨، فى عهد أحمدى نجاد بتقديم مجموعة من المقترحات إلى الولايات المتحدة تضمن استقرار الوضع فى أفغانستان، وحلاً للصراع الإسرائيلى الفلسطينى. كان ما طالبت به إيران نظير ذلك هو ضمان بعدم هجوم الولايات المتحدة عليها أو محاولة فرض «تغيير النظام» بالقوة، وبأن ترفع الحظر على عضوية إيران لمنظمة التجارة العالمية. ومن المفارقات، أن كان رد فعل إدارة بوش هو مزيد من العداء. قام بتزويد إسرائيل بأسلحة خاصة لتهديد إيران. تعمل القوات الجوية الإسرائيلية (والتى هى الأكثر تقدما وتطورا من قوات أى من بلاد النايتو باستثناء الولايات المتحدة) من قواعد أمريكية موجودة شرقى تركيا و تقوم بطلعات مستدامة حول الحدود الإيرانية بهدف تهديد إيران.

علاوة على ذلك، فإن إيران، منذ احتلال الولايات المتحدة للعراق، وغزو قوات النايتو لأفغانستان، ونشر الولايات المتحدة لقوات هائلة فى الخليج وتركيا وباكستان، والتواجد العسكرى الأمريكى المؤيد فى أزربيجان، فإن إيران محاطة بقوات عسكرية أمريكية وقوات متحالفة معها. وفى عام

٢٠٠٧ بدأت الولايات المتحدة فى إنشاء قاعدة عسكرية لها فى العراق على مسافة أقل من خمسة أميال من الحدود الإيرانية.

أدت هذه التهديدات والعقوبات، وبدلا من تغيير النظام، إلى معاناة الشعب الإيرانى. أُنشِئت بنية إيران الأساسية، وبخاصة صناعتها النفطية وخطوط طيرانها المدنية، فى عهد الشاه، ومازالت تعتمد على قطع الغيار المصنوعة فى الولايات المتحدة وغير المتاحة فى ظل نظام العقوبات المفروض نتيجة لهذا، تواجه الخطوط المدنية أخطار الحوادث. علاوة على ذلك، فإن للعقوبات أثراً ساحقاً على قدرة إيران على إعادة بناء مصافيها النفطية وتحسينها، ومن ثم لا تقلص فقط صادرات نفطها الخام إلى الأسواق النفطية بل استخدامه محليا. بل إنه حتى ما يُسمى بـ «العقوبات الذكية» التى تستهدف مؤسسات الدولة بما فيها الحرس الثورى. كان لها تأثير على عدد كبير من عامة الناس لأن هذه المؤسسات، هى فى النهاية جزء من دولة إيران واقتصادها.

تغيير النظام:

مازال الغرب مستمرا فى خطاب «تغيير النظام» فى إيران بأساليب متنوعة. فى عام ٢٠٠٥، دعا مايكل لدين، من المحافظين الجدد، والذى يعمل بالأمريكان إنترابرايز إنستيتيوت، دعا إلى فكرة وجوب فدرلة إيران. تقوم القوات الخاصة الأمريكية والاستخبارات الإسرائيلية والعملاء العسكريون، بعمليات سرية داخل إيران لإشعال النزاعات الإثنية فى عدة أقاليم. يقول سيمور هيرش، إن كونجرس الولايات المتحدة وافق فى عام ٢٠٠٧ على تصعيد كبير فى العمليات السرية ضد إيران، وخصص ٤٠٠ مليون دولار لزعزعة البلد من خلال التجسس على برنامجه النووى واختراق الأقليات الإثنية.

وباسم تمويل الديموقراطية فى إيران، خصصت كوندليزا رايس ٧٥ مليون دولار إضافية للإنفاق على وسائل الدعاية القائمة التى شملت بث التليفزيونات الفضائية مثل صوت أمريكا باللغة الفارسية، والتى تهدف إلى تغيير النظام فى إيران. كان رد الحكومة الإيرانية هو اعتقال النشطاء وإغلاق كثير من المنظمات غير الحكومية. وفى عام ٢٠٠٨، خصصت «يوساید» ٢٠ مليون دولار للمساعدة على «تعزيز الديموقراطية وحقوق الإنسان وحكم القانون فى إيران». ظل كثير من نشطاء المجتمع المدنى فى إيران يدينون هذه التمويلات لأنها تؤدى إلى نتائج عكسية ويقولون إن الأموال لا تصل إلى الناس بل تذهب إلى المجموعات التى تتخذ الغرب مقرا لها مثل المجاهدين الإيرانيين والمجموعات المؤيدة للنظام الملكى. إن هذا التمويل الذى توسع فى عهد چورچ دبليو. بوش مازال مستمرا فى عهد أوباما رغم تصريحاته بأن الولايات المتحدة لن تتدخل فى الشئون الإيرانية.

ومنذ انتخابات ٢٠٠٩ الرئاسية، والحركات التى تدعمها الغرب مثل مجاهدى إيران والملكيين، تحاول اختراق الحركة الخضراء. عمدت قيادات الحركة إلى النأى بنفسها عن هؤلاء المُغرضين أو أفعالهم، وعن الحكومات الغربية من منطلق اعتقادهم أن هدف هؤلاء ليس هو نشر الديموقراطية وتعزيزها بل تحويل إيران إلى نظام تابع عميل ووقف برنامج إيران النووى وتغيير موقفها من إسرائيل. وكما ذكرنا فى الفصل الثانى، فقد أعلن قادة حركة الإصلاح والديموقراطية مرارا أنهم لا يهدفون إلى تقويض الدولة الإسلامية، أو الاعتراف بإسرائيل أو تقليص تأثير إيران فى المنطقة. وفى تلك الأثناء، تتواصل العمليات العلنية والسرية ضد إيران، الأمر الذى سيؤدى إلى إضعاف حركة الديموقراطية.

القنبلة النووية:

استخدم الغرب أيضا مسألة برنامج إيران النووى لدعم تهديداته وتبريرها، وفى هذا السياق، فمن المهم توضيح أن هذا البرنامج كان قد بدأ فى الخمسينيات والستينيات بتشجيع تكنولوچى وسياسى من الولايات المتحدة. توقف برنامج إيران النووى لخمس سنوات بعد سقوط الشاه وثورة ١٩٧٩. وأثناء الحرب العراقية، عمد صدام حسين إلى قصف مواقع إيران النووية عدة مرات وبعد الحرب، وقّعت إيران مع الاتحاد السوڤييتى معاهدة تعاون نووى لبناء موقع بوشهر فى جنوب البلاد. وفى عام ١٩٩٥ وقّعت إيران اتفاقية أخرى مع روسيا لإعادة بناء المفاعل النووى وتقديم الدعم التكنولوچى لإنتاج الطاقة النووية بإيران.

ومنذ وقتئذ والولايات المتحدة وإسرائيل تتهمان إيران بتطوير أسلحة «دمار شامل». بيد أن إيران هى إحدى الموقعين على معاهدة منع الانتشار النووى، ومثل بقية الموقعين، يؤكد البند الحادى عشر من هذه المعاهدة على حق الموقعين فى إنتاج الطاقة النووية من أجل الاستخدامات السلمية. وقد صرحت إيران تكرارا بأنها ملتزمة بإجراء التفاوضات، بدلا من المواجهة، مع القوى الغربية، من موقع الندية، للوصول إلى حل سلمى للمسألة النووية. كما أن مسئوليها صرحوا أيضا بالتزام إيران بعدم انتشار الأسلحة النووية، بل ونزعها والقضاء عليها على مستوى العالم، لأن مثل تلك الأسلحة تعتبر تهديدا لأمنها وللحياة البشرية جمعاء. من ثم، فقد أعلنت استعدادها للالتزام بنصوص معاهدة منع الانتشار النووى وبالعمل على إنشاء منطقة خالية من أسلحة الدمار الشامل فى الشرق الأوسط. ومقابل ذلك، وبضغط من المحافظين الجدد فى الولايات المتحدة وداعميهم الدوليين، ظلت إيران تواجه التهديدات

والترويع بناء على تكهنات لا أساس لها بنواياها لإنتاج أسلحة دمار شامل.

أيضا، استخدم الإعلام والسياسيون الغربيون تصريح أحمدى نجاد الذى ينكر فيه الهلوكوست ذريعة لشيطنة إيران وتمهيد الطريق لتوسيع مدى الحروب القائمة بالمنطقة لتشمل إيران. ربما كان موقف الرئيس الإيرانى يمثل محاولة ساذجة منه لتأكيد وضعه القيادى فى المنطقة. وفيما أنه يجب شجب مثل هذه التصريحات بأسلوب مطلق فلابد من القول إن إنكار الهلوكوست والمشاعر المعادية للسامية قد أصبحت منتشرة فى المنطقة(١)، وهذا أمر يبعث على عميق القلق إذ إن هذا النمط من معاداة السامية بجذوره الأوربية لم يكن معروفا فى العالم الإسلامى، وثمة أدلة كثيرة على التعاون بين اليهود والمسلمين وقت ازدهار الحضارة الإسلامية. وكما ذكرنا فى الفصل السادس، فإن تصاعد معاداة السامية سببه إسرائيل وسياساتها الصهيونية العدوانية. يسعى أحمدى نجاد،

(١) ليس أحمدى نجاد وحده هو من ينكر الهلوكوست، فقد أنكرها مؤرخون غربيون انتهى بهم الأمر إلى فقدان وظائفهم ومحاكمتهم. كما أن ثمة شبه إجماع على أن النازيين لم يرتكبوا البشاعات فى حق اليهود وحدهم بل فى حق كثير من الأقليات مثل الغجر بل وبعض الألمان المسيحيين، وكل من لا ينتمى للجنس الآرى. علاوة على ذلك، لم يتعرض يهود إسرائيل ومنشئوها فى غالبيتهم للاضطهاد، بل إن بعض مؤسسى الحركة الصهيونية تعاونوا مع النازيين فى مجالات عدة مالية وسياسية (انظر كتاب لنى برنر «٥١ وثيقة، تعاون الصهيونية مع النازيين») لكن إسرائيل جعلت من الهلوكوست صناعة تبتز بها الغرب وتُرهب بها كل من يحاول نقد سياسة إسرائيل. (انظر «صناعة الهلوكوست» للكاتب اليهودى نورمان فنكلشتاين) أما القول بأن إنكار الهلوكوست والمشاعر المعادية للسامية أصبحت منتشرة فى المنطقة فهو قول مغلوط، لأن المشاعر المنتشرة هى معاداة السامية والسياسة الإسرائيلية العدوانية التوسعية إذ إن «معاداة السامية» فكرة ومصطلحا وممارسة هى إبداع غربى ولا علاقة لعالمنا به. (الترجمة)

من خلال مثل تلك التصريحات إلى تعزيز وضع إيران فى العالم الإسلامى وبخاصة فى وقت يحاول فيه الساسة الغربيون والإعلام الكوكبى إثارة المشاعر المعادية للشيعة فى المنطقة وبث الفتنة المذهبية.

وعلى الرغم من الدعاية الإعلامية حول برنامج إيران النووى فقد أوضح «تقرير الاستخبارات القومية NIE» الأمريكية حول إيران أنه ليس لدى إيران برنامج لإنتاج الأسلحة النووية على عكس ما تزعمه السى أى إيه. وعلى الرغم من ذلك أعلنت إدارة بوش وإسرائيل، فى عام ٢٠٠٨، أن هذا التقرير لن يغير سياستهما تجاه إيران.

تذهب سيدة لطفيان، وهى متخصصة إيرانية تعارض إنتاج الأسلحة النووية، إلى أن تهديد إسرائيل والولايات المتحدة بشن عدوان مسلح على إيران، أدى إلى مناقشات فى أوساط صناع القرار، والأكاديميين، والسياسيين فى إيران حول القضايا النووية. وبتحليلها لتلك النقاشات وجدت أن الإيرانيين من جميع الأطياف السياسية منقسمون إلى معسكرين يؤيد أحدهما المضى قدما فى البرامج النووية ويعارضهم المعسكر الآخر. ومن موقعها كمعارضة، تؤكد لطفيان أن «من مسئوليات المجتمع الدولى تلافى أية إجراءات قد تؤدى إلى رد فعل إيران إما بالانسحاب من معاهدة منع الانتشار النووى أو الإسراع فى تحديث أسلحتها».

تدعم غالبية الشعب الإيرانى من جميع الانتماءات السياسية، وبغض النظر عما يوجهونه من نقد للحكومة، حق بلدهم فى الدفاع عن نفسه ضد أى تهديد من إسرائيل أو الولايات المتحدة. يرى الشعب الإيرانى إسرائيل على أنها قوة نووية كبرى لديها احتكار إقليمى للردع والابتزاز النوويين. وبوضعها كقوة نووية، فقد انتهكت إسرائيل دوما القانون

الدولى، ومضت تشن الهجمات على الفلسطينيين والسوريين واللبنانيين وتوجه التهديدات ضد إيران بأسلوب مستدام. وفى هذا السياق، تدعم شعوب المنطقة امتلاك بلادهم للقوة النووية، ويتساءلون عن سبب تجاهل الولايات المتحدة وإسرائيل مطالبات مصر، وهى دولة حليفة للغرب وموقعة على معاهدة عدم الانتشار النووى، جعل الشرق الأوسط منطقة خالية من الأسلحة النووية. ذكرتُ فى تمهيدى لهذا الكتاب تعليق حارس الأحذية فى أحد مساجد القاهرة الذى امتدح به إيران وعبر عن أمنيته فى أن تمتلك إيران القنبلة. وتوضح التعليقات التى سمعتها والتى تعبر عن مشاعر مماثلة، شعبية إيران فى المنطقة، وكيف أن الكثيرين يرون تقدم إيران فى مجال التكنولوجيا وامتلاكها المعركة التكنولوجية واحتمال إنتاجها للأسلحة النووية على أنه رد إيجابى من دولة مسلمة على ممارسات الغرب وإسرائيل العدوانية فى المنطقة.

يرى باحثون ومعلقون من أمثال تشومسكى، أن الولايات المتحدة وإسرائيل تريدان منع إيران من امتلاك أسلحة نووية ليس لأنها ستشن عليهما أو على دول المنطقة هجوما – لأن هذا سيكون انتحارا بلا شك – بل لأن امتلاك إيران لمثل تلك الأسلحة سيجعل منها قوة ردع فى مواجهتهما. وتوضح العلاقات بين باكستان والهند وإسرائيل (وكلها دول نووية) وبين الغرب بما لا يدع مجالا للشك أنه فى حال أصبحت إيران نظاما عميلا للغرب ستكسب كل الدعم لبرنامجها النووى بل وربما لإنتاج أسلحة نووية. ومن الواضح أن العداء الذى يبديه الغرب لبرنامج إيران النووى هو فى واقع الأمر بسبب أن إيران لم تعد دولة عميلة له ورغبته فى أن تصبح كذلك (الأمر الذى سيفيد بخاصة شركات النفط الأمريكية)، وأيضا من أجل الحيلولة دون أن تطور إيران قدرات مستقلة

على توليد الكهرباء، وتوفر لنفسها الأمن فى مجالات الطاقة المختلفة.

دولة راعية للإرهاب:

ظلت الولايات المتحدة، والمملكة المتحدة، وإسرائيل منذ ثورة ١٩٧٩ تتهم إيران بأنها دولة راعية للإرهاب، وهو عامل آخر يُستَخدم لإضفاء الشرعية على هجماتهم عليها. لكن فكرة تورط إيران فى أية عمليات إرهابية، أو دعمها للإرهاب ليس لها أى أساس شرعى أو قانونى لأنه ليس ثمة دليل أو قرينة تدعم هذه المزاعم.

وكما أسلفنا، فإن دعم إيران لحماس وحزب الله ظل ذا طبيعة سياسية، علاوة على أن المنظمتين قد تحولتا منذ الثمانينيات إلى حزبين سياسيين لهما تواجدهما فى الحياة السياسية لبلديهما. قد يقال إن لكليهما جناحين عسكريين وإن بعض أنشطتهما شملت هجمات على مدنيين فى انتهاك للقانون الدولى، وإن بعض تلك الهجمات قد تعتبر «إرهابا». لكن، وكما بيِّنا فى الفصلين الرابع والسادس، فإن مساعدات إيران المالية للتنظيمين هى مساعدات حد أدنى كما أنهما ليسا بحاجة إلى دعم إيران العسكرى، إذ إنهما يستمدان جميع أنواع الدعم من شعوب المنطقة التى تعارض سياسات الولايات المتحدة وإسرائيل وممارساتهما العدوانية فى المنطقة.

يصور الساسة الغربيون والإعلام الغربى الشرق الأوسط على أنه منطقة يهيمن عليها المتطرفون الذين تدعمهم، جميعهم، إيران. وعلى النقيض من ذلك، فإن مجموعات الإسلام السياسى السائدة فى المنطقة تتسم بالاعتدال وتسعى لتحقيق أهدافها من خلال العمليات السياسية والانتخابية، أما هؤلاء الذين يستخدمون العنف والتطرف لبلوغ أهدافهم فهم الأقلية.

وفى الواقع، فإنه يمكن القول إن صعود التطرف فى المنطقة، وعلى مدى عقود، هو نتيجة للسياسات والعلاقات الدولية. إن المملكة العربية السعودية، إضافة إلى إسرائيل، هى أهم حليف للولايات المتحدة بالمنطقة. أثناء الحرب الباردة، عملت الولايات المتحدة عن عمد مع الإسلاميين المحافظين المرتبطين بالسعودية لمجابهة اليسار العلمانى والقوميين فى المنطقة، وهى سياسة استمرت طوال الحرب السوفييتية فى أفغانستان حيث جندت الولايات المتحدة المجاهدين الأفغان وعبأتهم وسلحتهم ودربتهم لقتال الاتحاد السوفييتى، أى أن الولايات المتحدة هى التى خلقت تنظيم القاعدة وطالبان اللذين انقلبا عليها فيما بعد مما أدى إلى أحداث ٢٠٠١/٩/١١.

علاوة على ذلك، فقد أدى احتلال العراق وغزو أفغانستان إلى وجود أراض جديدة لتدريب الإرهابيين الذين أصبحوا منتشرين فى أنحاء العالم، بل إن بعض المراقبين والباحثين يذهبون إلى أن التحكم فى موارد الطاقة فى الشرق الأوسط والهيمنة السياسية والثقافية على المنطقة أصبحت لها الأولوية على مجابهة الإرهاب الذى يهدد الولايات المتحدة وبريطانيا. وكان مؤتمر لندن الذى عقد فى يناير ٢٠١٠ دليلا على ذلك، إذ أعلن رؤساء الدول الغربية والأمم المتحدة والنايتو، أن بإمكانهم، بمساعدة المملكة العربية السعودية تبادل المصالح والتعاملات مع طالبان بل حتى السماح لها، وهى التنظيم المسلح المتطرف، بالمشاركة فى السلطة. وهكذا، وبعد ثمانى سنوات من احتلال أفغانستان، وقتل ووفاة عشرات آلاف المدنيين والعسكريين، وتعاظم الفساد، وعدم تغير الأوضاع بالنسبة للشعب من حيث إتاحة فرص العمل والتعليم والرعاية الصحية أو تحسين وضع المرأة، يخطط الغرب

مرة أخرى للتواطؤ مع طالبان التى تتعاون مع تنظيم القاعدة وتتقاسم الأموال معها، والذين، معاً، يسيطرون على معظم البلد، ويمتلكون القدرة على الإطاحة بحكومة كرزاى. وفقا لسوماس ميلن، فإن هذه السياسة لا تهدف إلى إنهاء الحرب حيث إن باراك أوباما مازال يرسل عشرات الآلاف من الجنود إلى أفغانستان، لكنها تهدف إلى شق صفوف طالبان والقاعدة كى تضمن الولايات المتحدة مصالحها الاقتصادية والسياسية فى المنطقة.

تراجع الهيمنة الأمريكية:

يرى كالينيكوس (٢٠٠٣) وهارڤى (٢٠٠٣) أن الولايات المتحدة تملك التفوق العسكرى لكنها تواجه تحديات اقتصادية فى الشرق الأوسط من أوربا وروسيا والصين واليابان، التى تعتمد أيضا على صادرات النفط [باستثناء روسيا] من المنطقة. أما الصين (تلك القوة الاقتصادية الكوكبية الصاعدة والتى تنافس الولايات المتحدة على مجالات سيطرتها]، فعلى الرغم مما للولايات المتحدة من تفوق عليها، فإن ذلك التفوق يكبحه بدرجة هائلة اعتمادها المفرط على تدفق رأس المال عليها من الصين ودول الشرق الأخرى. كان أحد أهداف «الحرب الكوكبية على الإرهاب» واحتلال العراق وغزو أفغانستان استخدام تفوق الولايات المتحدة العسكرى لتعزيز سيطرتها على المنطقة وتذكير الجميع بتكلفة تحدى الهيمنة الأمريكية. بيد أنه، وعلى الرغم من أن ذلك التفوق العسكرى كان كافيا لغزو أفغانستان والعراق واحتلالهما، فلم تتمكن الولايات المتحدة من التحكم فى هذين البلدين أو فى مواردهما، والنتيجة هى أن الولايات المتحدة وحلفاءها من النايتو مازالوا غارقين فى مستنقع تلك الحروب التى لا يمكن كسبها.

لتراجع هيمنة الولايات المتحدة تضميناته بالنسبة للتحالف بين إسرائيل وواشنطون أيضا. يمثل مثل هذا التحالف قوة عسكرية هائلة مرعبة فى مواجهة التهديد الذى تمثله الحركات الإسلامية (الذى يماثل تهديد القومية العربية فى الماضى) واحتوائه. بيد أن تنامى الحركات الإسلامية فى المنطقة، وانتصار حزب الله على إسرائيل فى عام ٢٠٠٦، وفوز حماس فى الانتخابات التشريعية [وصمودها فى مواجهة العدوان الإسرائيلى]، تمثل جميعها صعوبات مماثلة لكل من الولايات المتحدة وإسرائيل. حينما هاجمت إسرائيل لبنان فى عام ٢٠٠٦، رأت إدارة بوش فى الحرب على حزب الله، حليف إيران، فرصة لإضعاف الجمهورية الإسلامية بيد أن هزيمة إسرائيل فى تلك الحرب، ركز الأنظار بوضوح على مأزق شرعية أمريكا الدولية إذ إن واشنطون ولندن كانتا الداعمتين الوحيدتين [على المستوى العسكرى واللوجستى] لإسرائيل فى تلك الحرب. قوى انتصار حزب الله وضعه ووضع إيران، ومن ثم، أضعف قبضة إسرائيل والولايات المتحدة. وبالمثل، فقد أدى انسحاب إسرائيل من غزة إلى تقوية حماس.

كان وصول باراك أوباما إلى الرئاسة بعد إدارة جورج دبليو. بوش التى ساءت سمعتها فى جميع الأنحاء، محل ترحيب فى أنحاء الكوكب، ورأى كثيرون فى الولايات المتحدة أن هذا قد يؤدى إلى مداواة الجراح والندبات التى خلفها الاسترقاق والعنصرية فى المجتمع الأمريكى. بيد أن السلطة التى يملكها رئيس الولايات المتحدة متناسجة بإحكام فى سياسة واشنطون الخارجية، وبخاصة سياستها فى الشرق الأوسط. ولهذا أهمية خاصة اليوم فى وقت تصارع فيه واشنطون أزمة هيمنتها المتراجعة على النظام العالمى، تلك الهيمنة التى تتحداها الصين. من ثم،

نرى أن سياسة الولايات المتحدة التى تهدف إلى توكيد تحكمها الكوكبى على الموارد الاستراتيجية – والنفط بخاصة – وتوسيع مدى سطوتها عسكريا واقتصاديا وسياسيا مازالت مستمرة فى عهد أوباما. اتضح هذا فى خطاب أوباما الذى ألقاه أمام منظمة إيباك، اللوبى الإسرائيلى الرئيسى فى الولايات المتحدة، قبل انتخابه وأكد فيه أن أمن إسرائيل مقدس وغير قابل للنقاش، وأن القدس ستظل عاصمة إسرائيل الموحدة الأبدية. كما أنه وعد إسرائيل بمساعدات قدرها ٣٠ مليار دولار على مدى السنوات العشر القادمة. كان خطابه بمناسبة العام الفارسى الجديد يوم ٢١ مارس ٢٠٠٩، وخطابه بجامعة القاهرة فى ٤ يونيو ٢٠٠٩، قد ألمحا إلى الخطو بعيداً عن سياسات بوش وتفهم لأسباب الاستياء من الغرب وعدم الثقة فيه فى الشرق الأوسط، إلا أن كثيرين أظهروا تشككهم ورأوا أن خطابه كان بدون فحوى، وقد ثبت صحة هذا. لم تتعلم إدارة أوباما من فشل تلك السياسات وما أحدثته من قتل وتدمير لشعوب المنطقة، ولجيش الولايات المتحدة [بقدر]. من ثم، مازال فرض العقوبات، و«تغيير الأنظمة» وفرض «الديموقراطية» بأسلوب العراق وأفغانستان على الأجندة الأمريكية، ومازال تهديد إيران بالحرب قائما. وعلى الرغم من أن أحادية القرار والتصرف غير محتملة فى عهد أوباما، فإن استراتيجية تعددية الأطراف هى مجرد تعديل تكتيكى يعكس تكيّفا لإدراك أمريكا لحدود قوتها، لا إعادة توجه استراتيجى.

فى فبراير ٢٠١٠، عاد أوباما إلى السياسة التى كانت سلطة دبليو. بوش قد انتهجتها إزاء إيران. ففيما ذهب دانييل بايبس، عضو المحافظين الجدد، إلى أن الطريقة الوحيدة التى يستطيع بها أوباما إنقاذ موقعه الرئاسى هو قصف إيران، جددت إسرائيل تهديداتها بشن الحرب

على إيران وحلفائها، حزب الله فى لبنان، وحماس فى فلسطين. وحينما وافقت إيران على شحن اليورانيوم المخصب إلى الخارج لمعالجته وإعادته إليها على شكل قضبان وقود لأغراض الأبحاث، وكانت هذه صفقة تم الاتفاق عليها فى جنيف فى أكتوبر ٢٠٠٩، تجاهلت الولايات المتحدة والمسئولون الأوربيون العَرض وصاعدوا الاستعدادات العسكرية فى الخليج. أمد أوباما الكويت، والإمارات العربية وقطر والسعودية والبحرين بما قيمته عشرات المليارات من الأسلحة الحديثة.

فى مايو ٢٠١٠، طرح إعلان طهران المشترك بين البرازيل وتركيا وإيران حلا يضمن ممارسة إيران الكاملة لحقها المشروع للاستخدام السلمى للطاقة النووية، ويقدم فى نفس الوقت ضمانات بأن برنامج إيران هو حصريا للاستخدامات السلمية. أزال هذا الإعلان العقبات السياسية من أمام اقتراح وكالة الطاقة الدولية عام ٢٠٠٩. غيّر الرئيس أوباما، الذى كان قد رحب فى إبريل ٢٠١٠ بتلك التفاوضات (إقناع إيران بإرسال ١٢٠٠ كجم من اليورانيوم منخفض التخصيب إلى تركيا لمبادلته بقضبان وقود لمفاعل أبحاث طهران) غيّر موقفه بالكامل. تجاهلت وزيرة خارجيته، هيلارى كلينتون عرض البرازيل/ إيران/ تركيا وأعلنت بدلا من ذلك عن مشروع قرار لمجلس الأمن الدولى لفرض عقوبات جديدة أكثر تشدّدا على إيران.

بإمكان التهديدات المستدامة بالضربات العسكرية، والعقوبات، والعمليات السرية وتمويل «تغيير النظام» القضاء على حركة الديموقراطية القاعدية فى إيران وزيادة تأثير إيران فى المنطقة. كان لإرسال أوباما لمزيد من البوارج والصواريخ إلى الخليج أثر سلبى على حركة الديموقراطية فى إيران إذ إن المحافظين داخل النظام يستخدمون

الضغوط الخارجية ذريعة إضافية للهجوم بضراوة على نشطاء الحركة. وفى هذا السياق، فإن التاريخ يكرر نفسه: دمّر الغرب فى الماضى الحركات العلمانية والقومية التى كانت تناضل من أجل الديموقراطية والاستقلال فى إيران وأنحاء أخرى من المنطقة؛ والآن، فهم يدمرون الإسلاميين المعتدلين من خلال التهديد المستدام بالتدخل العسكرى.

ووفقا لأطروحة هذا الكتاب، تناضل شعوب المنطقة من أجل الديموقراطية والتحرر من الصهيونية والإمبريالية. أوضحت تجاربهم التاريخية أنه بدون الديموقراطية والاستقلال، تفتقد حكوماتهم الإرادة والشرعية لتنفيذ التنمية الاجتماعية/ الاقتصادية والسياسية المستدامة. إن عداء الغرب لإيران وللحركات الإسلامية المعتدلة الحداثية فى المنطقة يزيد من العداء السياسى للغرب ولدُوله العميلة، وسيعمل فى النهاية على تقوية التيارات الإسلامية المحافظة والمتشددة فى المنطقة. يوضح تاريخ النضالات السابقة ومسار الحركات المعاصرة فى المنطقة أن أنظمة الهيمنة والاستغلال الكوكبية والمحلية التى لا تعمل إلا لمصلحة القلة، ستواجه دائما بالمقاومة. وفى هذا السياق، فحتى لو افترضنا المستحيل وأن حزب الله وحماس وإيران والإخوان المسلمين رأوا أنه من المناسب تغيير سياساتهم لتتطابق مع سياسات الولايات المتحدة وتضمن أن يكون لمصالح الولايات المتحدة الاقتصادية والسياسية الأفضلية على مصالح شعوبهم، فمن المحتم أن تظهر قوى تواصل المقاومة ضد مثل تلك التيارات والحكومات العميلة والإمبريالية والصهيونية.

obeikandl.com

صدر من هذه

السلسلة

obeikandl.com

١ ـ محمد (ص)

٢ ـ صدام الحضارات

٣ ـ عصر الجينات

٤ ـ القدس

٥ ـ العولمة والعولمة المضادة

٦ ـ التاريخ السرى للموساد

٧ ـ من يخاف استنساخ الإنسان؟

٨ ـ حريم محمد على

٩ ـ عولمة الفقر

١٠ ـ صور حية من إيران

١١ ـ البحث عن العدل

١٢ ـ لورانس: ملك العرب غير المتوج

١٣ ـ الصهيونية تلتهم العرب

١٤ ـ معارك فى سبيل الإله

١٥ ـ التطبيع ومقاومة الغزوة الصهيونية

١٦ ـ التسوية: أى أرض.. أى سلام

١٧ ـ المكنز الكبير

١٨ ـ الحق يخاطب القوة

١٩ ـ نساء فى مواجهة نساء

٢٠ ـ مؤامرة الغرب الكبرى

٢١ ـ روسيا.. إلى أين

٢٢- موسوعة الأم والطفل

٢٣- الخدعة الرهيبة

٢٤- نهاية الإنسان

٢٥- خدعة التكنولوچيا

٢٦- ٢٦٥ حنوتة وحنوتة

٢٧- بوش ضد العراق ... لماذا؟

٢٨- أين الخطأ ؟

٢٩- اللولب المزدوج

٣٠- رجال بيض أغبياء

٣١- سادة العالم الجدد

٣٢- الخطيئة الأولى لإسرائيل

٣٣- اللعب مع الصغار

٣٤- الإبادة السياسية

٣٥ - حكومة العالم السرية

٣٦ - ما بعد الإمبراطورية

٣٧ - بوش في بابل

٣٨ - المقاومة العراقية.. ومستقبل النظام الدولى

obeikandl.com

٣٩ – تزييف الوعى

٤٠– القانون فى خدمة من ؟

٤١ ـ كفى

٤٢ – معنى هذا كله

٤٣– حياة بلا روابط

٤٤ – ٣٦٥ حدوتة وحدوتة

٤٥– أنا والعولمة .. عالم بديل ممكن..

٤٦– جسدى سلاحاً

٤٧– ثالوث الشر

٤٨– الحضارة الإسلامية المسيحية

٤٩– أمـــريكا العظمى.. أحـــزان الإمبراطورية

٥٠– الطَّريقُ إلى السُّوبَرْمَان

٥١– مدربون على القتـل

٥٢– معاداة السامية الجديدة

٥٣– إبادة العالم الثالث

٥٤– بيولوچيا الخوف

٥٥– لغز اسمه الألم

٥٦– تعليم بلا دموع

٥٧– أحمد مستجير

٥٨–العين بالعين

٥٩– شاڤيز

٦٠– قصص الأشباح

٦١– حزب الله

٦٢– الإنسان هو الحل

٦٣– السيارات المفخخة

٦٤– بلاكووتر

٦٥– حضارتهم وخلاصنا

٦٦– نحو الحرية.. نلسون منديلا

٦٧– العهد

٦٨– مزرعة الحيوانات

٦٩– أطفال الإنترنت

٧٠– لعبة الملايين

٧١– تجارة الجنس

٧٢– الأمريكى الساذج

٧٣– الأبرياء

٧٤– الشباب والجنس

٧٥ – التربية من عام إلي عشرين عام

٧٦– فلورانس وإداورد

obeikandl.com

٧٧- الجهاد في سبيل الحقيقة

٧٨- غاندي (٢)، رؤي، تأملات، اعترافات

٧٩- شرف البنت

٨٠- الزواج المحرم

٨١- أنبياء مزيفون

٨٢- إمبراطورية العار

٨٣- اختطاف أمريكا

٨٤- شريعة الجستابو

٨٥- رومانسية العلم

٨٦- اختفاء فلسطين

٨٧- من هم إسرائيل

٨٨- ثلاثون كتاب في كتاب

٨٩- اقتصاد الاحتيال البرىء

٩٠- الله.. لماذا؟

٩١- الأمراض المعدية

٩٢- الطريق إلي بئر سبع

٩٣- مجمع الشيطان

٩٤- فى ذكرى المقاومة

٩٥- خطابا تحرير المرأة

٩٦- دساتير من ورق؟

٩٧- صُناع الملوك

٩٨- صناعة الأكاذيب

٩٩- عندما تحكم الصين العالم

١٠١- الحركة العامة للاقتصاد المصرى فى نصف قرن

١٠٢ - رحلة السندباد

١٠٣- وجه أوباما الأبيض

١٠٤- تشى چيڤارا سيرة للنشء

١٠٥- أنا أقترض.. أنا موجود

١٠٦- قصة فيس بوك

١٠٧- غواية الرجال

قائمة المحتويات

تمهيد ٧
مقدمة ١١
١- الإرث الثورى ٣٩
٢- الإصلاحيون والمحافظون والنضال من أجل الديموقراطية ٦٩
٣- الإسلاميون المحدثون ١١٣
٤- علاقة إيران بلبنان وحزب الله ١٣٩
٥- العلاقة بين إيران والعراق ١٧٣
٦- العلاقة بين إيران وفلسطين وحماس ٢٠٧
٧- العلاقة بين إيران ومصر ٢٤٩
٨- السياق الكوكبى للدولة والمجتمع فى إيران ٢٨٣

obeikandl.com

obeikandl.com